مساهمة الحركة الإصلاحية المغاربية في النضال السياسي من 1920 إلى بداية الحرب العالمية الثانية دراسة مقارنة بين الجزائروتونس

د/ جمعة بن زروال، قسم التاريخ - جامعة باتنة 1
شمس الدين زراري، دكتورالي، قسم التاريخ - جامعة باتنة 1

الملخص :

إن مساهمة الحركة الإصلاحية المغاربية في النضال السياسي من سنة 1920 الى غاية الحرب العالمية الثانية كانت مساهمة فعالة متعددة الأوجه في الدفاع عن قضايا الشعوب المستعمرة والعمل على الدفع في التعجيل باستقلال أوطان المغرب العربي، خاصة في الجزائر وتونس، وذلك من خلال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وطلبة وعلماء الزيتونة التونسيين، حيث تشابهت في أغلب القضايا المشتركة واختلفت في بعض الشكليات .

Abstract :

The contribution of the Maghreb reform movement in the political struggle from the 1920s until the beginning of the Second World War was an effective and multifaceted contribution to the defense of colonial peoples' issues and to pushing for the acceleration of the independence of the Arab Maghreb countries, especially in Algeria and Tunisia through the Association of Algerian Muslim Scholars and Tunisian students and scolars of Zaitouna, where they were similar in most common issues and differed in some formalities.

مقدمة

لعبت الحركات الإصلاحية في أوطان المغرب العربي دورا بارزا وملموسا في مجال العمل السياسي والمساهمة في تحضير أرضية خصبة عملت على التعجيل باستقلال البلدان المغاربية، سواء من خلال العمل السياسي والدبلوماسي أو من خلال الثورة والعمل المسلح، ونخص بالذكر الحركات الاصلاحية في الجزائر وتونس كنموذجين لبلدان المغرب العربي من خلال طرح الاشكالية التالية:

ما مدى مساهمة الحركة الإصلاحية المغاربية في الجزائر وتونس في النضال السياسي خلال فترة 1920 إلي 1939؟

للإجابة على هاته الإشكالية نتبع الخطة التالية:

- اولا: تعريف الحركات الاصلاحية في الجزائر وتونس.
- ثانيا: مساهمة الحركة الاصلاحية في النضال السياسي في الجزائر وتونس.
- ثالثا: أوجه التشابه والاختلاف في كلا البلدين.

أولا: تعريف الحركات الإصلاحية في الجزائروتونس

1/ -الحركة الإصلاحية في الجزائر

إن الحركة الإصلاحية في الجزائر تجسدت قبل تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين 1931 والتي تمثلت في العلماء، وغالبا ما تعني عبارة العلماء اليوم في أوروبا والشرق الأدنى رجال الدين والمتخصصين في الشؤون الدينية ومفسري القانون الاسلامي[1]، ولكن هذه العبارة تحمل في الجزائر معنى مختلف نوعا ما، فعبارة العلماء هناتعني أولئك الجزائريين المثقفين الذين بالرغم من تعليمهم العربي وتوجيههم الاسلامي أصبحوا هادفين بشكل واضح سياسيا ودينيا[2]، ولقد كان لظهور هاته الحركة الاصلاحية المتمثلة في العلماء عدة عوامل داخلية وخارجية.

العوامل الخارجية:

تتمثل أساسا في تأثير شخصيات قومية وفكرية من المشرق العربي تحديدا ونخص بالذكر السيد جمال الدين الأفغاني[3] والشيخ محمد عبده[4]، وشخصيات فكرية أخرى[1]، وبدون شك فإن هذه

[1] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، عالم المعرفة، الجزائر، 2009، ص384.

[2] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص385.

[3] جمال الدين الأفغاني: ولد عام 1839 في اسد آباد في أفغانستان، حفظ القرآن وعلوم العربية في مسقط رأسه، شارك جمال الدين بفكره الاصلاحي في العملية السياسية في أفغانستان وتنقل بين الهند ومصر وأوربا، واسس صحيفة العروة الوثقى في باريس سنة 1884، وكان له دور بارز في يقظة المشرق والمغرب العربي من سباته، توفي رحمه الله بالأستانة في 9 مارس 1897. أنظر: مولود عويمر، أعلام وقضايا في التاريخ الاسلامي المعاصر، تصدير أبو القاسم سعد الله، دار الخلدونية، الجزائر، ط1، 2007، ص79.

[4] الشيخ محمد عبده (1849-1905) رائد النهضة العربية مع الأفغاني ومؤلف كتاب التوحيد، زار تونس مرتين الأولى سنة 1884، والثانية سنة 1903، زار الجزائر أيضا في سنة 1903. أنظر: مولود عويمر، المرجع السابق، ص79.

الافكار والاتجاهات كانت تصل الى مسامع النخبة الجزائرية المثقفة بوسائل مختلفة كالجرائد والرحلات العلمية ورحلات الحج ... كما يجب أن لا ننسى أن المثقفين الجزائريين اتصلوا مباشرة بأحد رواد الاصلاح وهو الشيخ محمد عبده الذي زار الجزائر سنة 1903[2]، وتحت تأثير روح الاصلاح في الجزائر وحركة الجامعة الاسلامية في الشرق الأدنى قضى هؤلاء الزعماء المستقبليون كل فترة الحرب العالمية الاولى باستثناء ابن باديس[3] خارج وطنهم، فإنهم قد تعلموا ليس فقط كل الأفكار النظرية عن الحضارة الاسلامية بل أيضا التطورات العامة عن مشاكل وقوى العالم.[4]

العوامل الداخلية:

ومن بين هاته العوامل الداخلية نجد:

- الثورة التعليمية التي احدثها ابن باديس وذلك بعد عودته من المشرق العربي و تونس حيث سعى الى ترغيب الناس في التعليم بواسطة الدروس التي كان يقدمها، وهذا ما أحدث وعيا وتغيرا في ثقافة الناس[5].
- الصحافة العربية الاصلاحية حيث لعبت هذه الصحافة دورا كبيرا في تنوير وتثقيف الجزائريين أوائل العشرينيات من القرن الماضي، نذكر منها صحيفة المنتقد والشهاب لابن باديس[6]، الجزائر التي صدرت سنة 1908، وذو الفقار لعمر راسم، الفاروق سنة 1913 لعمر بن قدور[7].

---

[1] اسعد لهلالي، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والثورة التحريرية الجزائرية 1954-1962، بيت الحكمة، الجزائر، ط1، 2015، ص46.

[2] أحمد صاري، شخصيات وقضايا من تاريخ الجزائر المعاصر، تقديم الدكتور أبو القاسم سعد الله، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، 2004، ص16.

[3] عبد الحميد بن باديس (1889-1940) ولد بقسنطينة من أسرة مشهورة بالعلم حفظ القرآن الكريم وتخرج من الزيتونة سنة 1913، مؤسس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في سنة 1931، وترأسها الى وفاته في 16 أفريل 1940. أنظر: خير الدين شترة، المرجع السابق، ص315.

[4] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص386.

[5] نبيل أحمد بلاسي، الاتجاه العربي والاسلامي ودوره في تحرير الجزائر، الهيئة المصرية للكتاب، مصر، 1990، ص94.

[6] نبيل أحمد بلاسي، المرجع السابق، ص96.

[7] عمار طالبي، ابن باديس حياته وآثاره، ج1، دار الغرب الاسلامي، لبنان، ط1، 1983، ص55-56.

- الطرق الصوفية والمرابطين المنحرفين الذي أبعدوا السكان عن المنهج الصحيح وغرسوا فيهم روح الخوف والطاعة لمن بيده مقاليد السلطة ومن ثمة بيد الادارة الفرنسية[1].
- الدعوات الاندماجية والتي قادها المثقفون بالثقافة الفرنسية والتي تهدف إلى سلخ الشخصية الاسلامية العربية الجزائرية عن طريق التجنيس الجماعي بعيدا عن القضية الدينية[2].

وانطلاقا مما سبق يمكن القول أن هذه العوامل ساهمت في بروز الحركة الاصلاحية في الجزائر بقيادة جمعة العلماء المسلمين الجزائريين.

تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

ذكر الشيخ البشير الابراهيمي[3] أن فكرة انشاء جمعية العماء بدأت بواكيرها في عام 1924 عندما عندما زاره عبد الحميد بن باديس في تلك السنة وطرح عليه فكرة انشاء جمعية في مدينة قسنطينة باسم "جمعية الاخاء العلمي" وتعمل على توحيد جهود العلماء الجزائريين وطلبتهم ضمن برنامج مشترك[4].

كللت كل هذه الجهود في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في ماي 1931 بعد حضور 109 من مجموع 120 دعوة تم توجيهها الى رجال الدين الذي اجتمعوا في نادي الترقي بالعاصمة الجزائرية واستمروا في مداولاتهم مدة أربعة أيام وانتخبوا عبد الحميد بن باديس رئيسا للجمعية وأنشئت الجمعية حسب قانون الجمعيات المبينة أحكامه في القانون الفرنسي الصادر في جويلية 1901، وهذا القانون لم يكن يسمح للجمعيات بالتدخل في الحياة السياسية[5]، وعليه فإن الجزائر

[1] محمد البشير الابراهيمي، الطرق الصوفية، ط1، مطبعة الرضوان، الجزائر، 2008، ص60.

[2] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص352-353.

[3] الشيخ الابراهيمي: محمد البشير الابراهيمي ولد براس الواد بولاية سطيف سنة 1889، سافر الى دمشق سنة 1918 ومكث بها الى غاية 1920، ساهم في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مع ابن باديس سنة 1931، وتقلد رئاستها بعد اطلاق سراحه سنة 1943 وساهم مساهمة فعالة في الحياة السياسية في الجزائر، توفي سنة 1966. أنظر: خير الدين شترة، المرجع السابق، ص31.

[4] علاء عباس نعمة الصافي، حسين ضاري سبع، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (1931-1940)، مجلة كلية التربية، العدد 24، (د.ت)، جامعة واسط، العراق، ص120.

[5] علاء عباس نعمة الصافي، ...، المرجع السابق، ص120-121.

بعد الحرب العالمية الأولى عرفت تغيرات هامة في كل مجالات الحياة وتميزت بظاهرتين أساسيتين[1]، الظاهرة الأولى وتتمثل في ايقاظ الجماهير المسلمة واهتمامها بالمسائل السياسية، والظاهرة الثانية وتتلخص في ظهور ونمو الحركة الاصلاحية الاسلامية.

هكذا كانت الحركة الاصلاحية والتي هي في الواقع ليست جمعية العلماء فقط لأنها أعمق وأشمل وان كانت هذه الأخيرة نتاجا للأولى لأنه بعد ظهور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لم يكن جميع المصلحين قد انضموا اليها[2].

2/-تعريف الحركة الإصلاحية في تونس:

إن الوضع الثقافي في تونس يختلف عنه في الجزائر فالفرنسيون لم ينجحوا كثيرا في تونس كما في الجزائر، فبالإضافة الى قيمة جامع الزيتونة الأعظم العلمية فإن تونس لم ينقطع عنها مدد الشرق، فكانوا على تواصل دائم معه ومع منشوراته خاصة منها الاصلاحية مثل مجلة المنار لرشيد رضا[3].

بوادر ظهور الحركة الاصلاحية في تونس:

ركز زعماء الاصلاح الأوائل في تونس على ضرورة الانتماء للخلافة واقامة نظام دستوري واهتموا بتطور أساليب العلم والمعرفة ووجدوا في شخص محمد الصادق باي[4] خير معين فأسسوا المدرسة الصادقية في 13 جانفي 1875 تحت اشراف الوزير خير الدين باشا[5] بمعاضدة علماء

[1] بوصفصاف عبد الكريم، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931-1945، ط1، دار البعث، قسنطينة، 1981، ص81.

[2] بوصفصاف عبد الكريم، المرجع السابق، ص82.

[3] مناصرية يوسف، الحزب الدستوري التونسي 1919-1934، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط1، 1988، ص25.

[4] محمد الصادق باي: ولد في 7 فيفري 1813 واعتلى العرش يوم 23 سبتمبر 1859، قام بعدة اصلاحات، توفي في 28 اكتوبر 1882. أنظر: حبيب حسن اللولب، أبحاث ودراسات في تاريخ المغرب العربي المعاصر، منشورات سيدي نايل، الجزائر، 2013، ص41.

[5] خير الدين باشا: (1822-1889) من كبار رواد النهضة الاسلامية في تونس عين وزيرا للبحر في عهد محمد باي الثاني، أجرى اصلاحات عديدة داخل الدولة، ولي الوزارة الكبرى 1873-1877، ذهب سنة

الزيتونة[1]، ففي سنة 1888 تأسست جريدة الحاضرة على يد نخبة من شيوخ الزيتونة وهي متأثرة بالفكر الاصلاحي لمحمد عبده وذات توجه اسلامي وتعاطف عثماني وهي تعتبر بمثابة العمود الفقري للحركة الاصلاحية[2].

وقد أدت بعض الجرائد العربية الأخرى رسالة حضارية الى جانب جريدة الحاضرة، وكانت تقريبا كلها في خدمة الفكر الاسلامي والاصلاح الديني منها جريدة الزهرة الاسبوعية لصاحبها عبد الرحمن الصنادلي 1890، والصواب لمحمد العجايبي 1904، والبصيرة لنجيب ملحمة 1893[3].

وايضا الجمعية الخلدونية سنة 1896 وكانت مكملة لما يدرس بجامع الزيتونة من طرف نخبة على رأسهم البشير صفر[4 5].

العوامل الخارجية لظهور الحركة الاصلاحية في تونس:

من العوامل الخارجية التي أثرت مباشرة في حركة الاصلاح الزيتوني هي حركة التجديد الاسلامي بزعامة جمال الدين الافغاني ومحمد عبده وكانت همزة الوصل هي جريدة العروة الوثقى التي كانت تضم في عضويتها محمد بيرم[6] والشيخ محمد السنوسي[7] والتي كانت تصل الى تونس بانتظام[1]، وأيضا

1878 الى الأستانة وأصبح رئيس وزراء الدولة العثمانية. أنظر: مناصرية يوسف، الحزب الحر، المرجع السابق، ص15.

[1] مناصرية يوسف، المرجع السابق، ص16.

[2] حبيب حسن اللولب، أبحاث ودراسات في تاريخ المغرب العربي المعاصر، وزارة الثقافة، الجزائر، 2013، ص72-73.

[3] مناصرية يوسف، المرجع السابق، ص24.

[4] البشير صفر (1863-1917) درس بالمدرسة الصادقية، وأسس جريدة الحاضرة 1888، ثم المدرسة الخلدونية 1896، كما ساهم في عدة مشاريع خيرية. أنظر الجابري محمد الصالح، النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين في تونس 1900-1962، الدار العربية للكتاب، تونس، 1987، ص69.

[5] مناصرية يوسف، نفسه، ص24.

[6] محمد بيرم الخامس (1840-1889) المفكر والأديب والمؤرخ من مواليد تونس من عائلة أشراف عريقة، أشرف على إدارة الأوقاف التونسية في عهد خير الدين باشا، زار المشرق وأوربا والأستانة، توفي بالمهجر. أنظر: الصادق الزمرلي، المرجع السابق، ص87-95.

[7] الشيخ محمد السنوسي (1850-1900) أديب وصحافي ومؤرخ تونسي درس بجامع الزيتونة على يد الشيخ سالم بوحاجب وغيره من العلماء، امتهن التدريس، ومن تلامذته محمد الناصر باي، شارك في

تأثيرات زيارتي الشيخ محمد عبده لتونس الاولى سنة 1884 والثانية في اوت 1903 والتقى بعلماء الزيتونة من أمثال الشيخ سالم بوحاجب[2] ومحمد الطاهر بن عاشور[3] حيث أعطت الزيارة الثانية للشيخ محمد عبده من 09 الى 22 سبتمبر 1903 نفسا جديدا للشباب التونسي وزادتهم حمية للعمل الاصلاحي[4].

العوامل الداخلية لظهور الحركة الاصلاحية في تونس

كان أهم هاته العوامل الداخلية هو جامع الزيتونة الذي سيضطلع بمهمة الدفاع عن العقيدة والتعاليم الاسلامية السمحة عن طريق الدروس التي تلقى بين عرصاته والرجال الذين يسهرون على تكوينهم[5].

ويعتبر جامع الزيتونة من اقدم الجوامع التي بنيت في الشمال الافريقي والمغرب العربي، وحسب ابن الاثير فقد بناه والي افريقية عبد الله بن الحبحاب الذي دخل افريقية سنة 735[6]، ويقع الجامع في قلب مدينة تونس القديمة، وظل جامع الزيتونة على مر العصور مؤسسة دينية وثقافية لها هيبتها التي ترتبط بتاريخ تونس وتخرج منه جموع العلماء كآل نيفر وآل عاشور وآل بيرم، والحقيقة أنه من

اصلاحات خير الدين باشا، تقلد عدة وظائف حكومية، من أهم أعماله الاستطلاعات الباريزية، وكانت مواقفه من فرنسا متغيرة. أنظر: مناصرية يوسف، الحزب ...، المرجع السابق، ص227-228.

[1] رابح فلاحي، جامع الزيتونة والحركة الاصلاحية في الجزائر (1908-1954)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، ت/أ.د. عبد الكريم بوصفصاف، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008، ص28.

[2] الشيخ سالم بوحاجب (1827-1924) اللغوي والفيلسوف والمربي من علماء ومشايخ الزيتونة، أنظر الصادق الزمرلي، أعلام تونسيون تقديم حمادي الساحلي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط1، 1986، ص169-175.

[3] الشيخ محمد الطاهر بن عاشور (1879-1973) الرجل والقاضي والامام الأكبر لجامع الزيتونة ومن أعلام تونس المشهورين بالعلم والدعوة والنضال. أنظر: الصادق الزمرلي، المرجع السابق، ص361-367.

[4] مناصرية يوسف، المرجع السابق، ص28.

[5] أحمد القصاب، تاريخ تونس المعاصر، 1881-1956، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ط1، 1986، ص487.

[6] رابح فلاحي، المرجع السابق، ص 34.

جامع الزيتونة بدأت بوادر الاصلاح الاولي الديني والاجتماعي كما تصدت للحماية في بعض المواقف التي كانت تعارض الدين ولا تتماشى وتقاليد الامة التونسية[1].

أيضا نجد من رواد الحركة الاصلاحية الاوائل داخل تونس الوزير خير الدين باشا والشيخ محمود قبادو[2] الذي كون الفكر الاصلاحي الجديد في اوائل القرن التاسع عشر[3].

من بين العوامل الداخلية التي دفعت بحركة الاصلاح في تونس هي الصحافة حيث توفر في تونس في نهاية القرن التاسع عشر بنية تحتية ثقافية متطورة وقد ساهمت هذه الصحف في نشر الفكر الصحيح وبعث الهمم في نفوس التونسيين والزيتونيين وكان أهمها جريدة سبيل الرشاد لعبد العزيز الثعالبي[4] سنة 1904 حيث لعبت دورا أساسيا في نشر الفكر الاصلاحي الذي ظل يحن الى الترابط والتكامل العثماني[5]، وقد تأثر التونسيون الملتفون حول جامع الزيتونة بتطور الحضارة العربية الاسلامية في المشرق وتجلى ذلك خاصة في انتشار النوادي والجمعيات ومحاربة رجالها للطرقيين جهارا، وأدى هذا النشاط الى نقص تأثير الصوفية في تونس عكس الجزائر آنذاك[6].

ثانيا: مساهمة الحركة الإصلاحية في النضال السياسي في الجزائروتونس:

اولا /-الجزائر:

- نجد على المستوى السياسي أن العلماء قد وقفوا في صالح كيان أمة جزائرية ينفصل في النهاية عن فرنسا ودعوا الى القومية العربية والجامعة الاسلامية وعارضوا بشدة تجنيس ودمج الجزائر في فرنسا[7].

---

[1] رابح فلاحي، نفسه، ص35.

[2] الشيخ محمود قبادو(1871-1813) هو الذي كون الفكر الاصلاحي الجديد في أوائل القرن التاسع عشر ميلادي في تونس. أنظر: الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص30.

[3] الطاهر عبد الله، الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية جديدة 1830-1956، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، ط2، (د.ت)، ص19.

[4] عبد العزيز الثعالبي (1946-1874) من أصل جزائري ولد بتونس زيتوني الثقافة، أسس العديد من الصحف والجرائد، ترأس الحزب الدستوري الحر التونسي إلى أن نفي الى المشرق سنة 1923، ولم يعد إلى تونس إلا سنة 1937. أنظر: خير الدين شترة، المرجع السابق، ص318.

[5] رابح فلاحي، المرجع السابق، ص41.

[6] مناصرية يوسف، المرجع السابق، ص28.

[7] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج2، ص396.

- من المساهمات الهامة التي قام بها العلماء خلال العشرينيات خلق وبعث التاريخ الوطني[1].
- رد فعل العلماء على احتفالات الفرنسيين باحتلال الجزائر، حيث دعت صحافة العلماء "نخبة الأمة" الى اليقظة وانقاذ شعبهم ودعتهم بأن يظهروا للعالم أنهم قادرون على توحيد الوطنيين في كتلة تدافع عن وجود الأمة وأطلقوا على هاته الاحتفالات اسم مهازل سنة 1930، وأكدت أنهم الفرنسيون لن يحتفلوا بثاني عيدهم[2].
- معارضة ابن باديس بشدة في سنة 1937 للاحتفالات الكبيرة التي نظمتها السلطات الاستعمارية في قسنطينة بمناسبة الذكرى المئوية لاحتلال المدينة حيث نشر نداء الى سكان قسنطينة المسلمين بالعربية والفرنسية في مجلة الشهاب في نوفمبر 1937 منددا بذلك وطالب اهل قسطينة بمقاطعتها واستهجانها[3].
- التجنيس وقف ابن باديس ضد التجنيس لأنه يعني التخلي عن نظام الأحوال الشخصية الاسلامي[4]، والتخلي عن اللغة العربية ونبذ التقاليد الاسلامية حيث اثارت فتوى ابن باديس التي مضمونها تكفير المتجنس بالجنسية الفرنسية فزع المتجنسين والسلطات الاستعمارية[5]، لأنها كانت معول هدم سياسة فرنسا في العمل على تجنيس الجزائريين كما حطمت كل آمال المتجنسين[6].
- توحيد جهود الحركة الوطنية من خلال المؤتمر الاسلامي 1936 ان انتصار الجبهة الشعبية في فرنسا سنة 1936 والتي كانت تجمع النقابات والأحزاب اليسارية[7]، وقد شجع ذلك الجزائريين للقيام بنشاطات سياسية وقد استشعرت تيارات الحركة الوطنية في وصول الجبهة الشعبية الى

[1] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج2، ص401.

[2] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج2، ص405.

[3] مولود عويمر، أعلام وقضايا في التاريخ الاسلامي المعاصر، دار الخلدونية، الجزائر، ط1، 2007، ص99.

[4] عبد القادر حميد، فرحات عباس رجل الجمهورية، دار المعرفة، الجزائر، (د.ط)، 2007، ص51.

[5] قداش محفوظ، جزائر الجزائريين (تاريخ الجزائر 1830-1954)، تر: محمد المعراجي، الوكالة الوطنية للنشر والاشهار، الجزائر، 2008، ص298.

[6] عمامرة تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الاصلاح الوطني والتربية في الجزائر، ط5، منشورات الوكالة الوطنية للنشر والاشهار، الجزائر، 2012، ص50.

[7] محفوظ قداش، المرجع السابق، ص314.

الحكم أنه سيأتي بالحل للمشاكل الجزائرية[1]، لذلك أخذ ابن باديس المبادرة بجمع شتات الجزائريين ودعا جميع فئات الشعب الجزائري وأحزابه إلى عقد مؤتمر وكانت دعوته عبر صفحات جريدة الدفاع "La défense" التي كان يصدرها الأمين العمودي[2] باللغة الفرنسية[3]. حيث تم انعقاد المؤتمر يوم 7 جوان 1936 بقاعة الماجستيك – الأطلس حاليا – بباب الواد الجزائر العاصمة[4]، بحضور ممثلين عن العلماء والمنتخبين والشيوعيين والأعيان والشباب[5].

حيث جسدوا مطالبهم في ميثاق سمي ميثاق مطالب الشعب الجزائري[6]. وكانت أهم المطالب التي تبناها المؤتمر بإيعاز من الشيخ ابن باديس:

1. اعتبار اللغة العربية رسمية مثل اللغة الفرنسية وتعامل صحافتها مثل الصحافة الفرنسية.
2. تعاد المساجد للمسلمين لادارتها مع تخصيص ميزانية لرعايتها وتتناسب مع أوقافها.
3. تنظيم القضاء الاسلامي ووضع مجلة أحكام شرعية تحت اشراف هيئة متخصصة وأيضا ركزوا على المحافظة على الحالة الشخصية الاسلامية بالاضافة الى مطالب اخرى[7].

وما يلفت انتباهنا هنا الى حدس الشيخ ابن باديس السياسي ومعه العلماء وبعد نظرهم من عقد هذا المؤتمر الاسلامي حيث كان يريد أن يقيم الحجة على المستعمر الفرنسي، حيث أنه يعلم أن

---

[1] مراد علي، الحركة الاصلاحية الاسلامية في الجزائر (بحث في التاريخ الديني والسياسي من 1925 الى 1940)، تر: محمد يحياتن، ط2، دار الحكمة، الجزائر، 2007، ص297.

[2] الأمين العمودي (1890-1957) محام وكاتب وصحفي من رجال الحركة الاصلاحية ولد في واد سوف، وتعلم في قسنطينة، عين أمينا عاما لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، اغتالته منظمة اليد الحمراء الفرنسية . أنظر: خير الدين شترة، المرجع السابق، ص331.

[3] عمار طالبي، آثار الامام عبد الحميد بن باديس، ط1، ج3، دار ومكتبة الشركة الجزائرية للتأليف والطباعة والنشر، الجزائر، (د.ت)، ص88.

[4] Benkhadda Benyoucef, les origines du premier novembre 1954, s.e, s.p, s.l, 1989, p600

[5] لخضر ادريس، البحث في تاريخ الجزائر الحديث 1830-1962، ج1، د.ط، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2006، ص338.

[6] محفوظ قداش، المرجع السابق، ص314.

[7] مازن صلاح المطبقاتي، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية 1931-1939، دار بني مزغنة، الجزائر، 2015، ص173.

فرنسا لن توافق على هاته المطالب مهما كان وقد أكد الشيخ محمد خير الدين[1] في مقال له في جريدة "البصائر" عام 1948 وجهة نظر ابن باديس حيث قال "أقسم لقد رأيت العجب من طرب الزعيم الأكبر عبد الحميد بن باديس لهذه النتيجة فما كان يتوقع أن نحصل على شيئ من فرنسا وما كان يدور في خلده أنها ستنجح في يوم من الايام وبمحض ارادتها لانصافنا وعلاج قضيتنا..."[2].

لعل أهم النتائج التي تمخض عنها انعقاد المؤتمر هو احساس الشعب الجزائري بوحدته وهو الأمر الذي كان يفتقده في معظم انتفاضاته ضد فرنسا بالاضافة الى ذلك فإن هذا المؤتمر هيأ لجمعية العلماء أن يكون لها دور بارز في المجال السياسي[3].

موقف العلماء من الزوايا والطرقيين

ولابد من الاشارة هنا إلى أن مهاجمة العلماء للبدع والخرافات والشعوذة وعدد آخر من الأمراض الاجتماعية قد أثار ضدها رجال الطرقية والمحافظين عامة[4].

وأول خصوم العلماء هم المرابطون ورجال الزوايا الذي ظلوا على عقائدهم القديمة وقد ازداد هؤلاء المرابطون جمودا وبعدا عن واقع الشعب وأصبحوا أداة في يد السلطة الاستعمارية لابقاء الجماهير خامدة وسهل السيطرة عليها وقد جاء العلماء لمحاربة الجمود والخرافات والتعايش مع الادارة الاستعمارية فثارت ثائرتهم ضد العلماء[5].

وقد لجأ خصوم العلماء من الطرقيين الى المقاومة السلبية ضد العلماء وبعضهم حاول تقليد العلماء بخلق منظمة معارضة أسموها "جمعية علماء السنة"[6].

---

[1] الشيخ محمد خير الدين ولد بواحات الزيبان ببسكرة سنة 1902، حفظ القرآن الكريم، درس في قسنطينة ثم الزيتونة بتونس، رجع الى الجزائر سنة 1925، تولى الوعظ والارشاد، ساهم في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931، تولى عدةمناصب قيادية فيها، توفي 11 ديسمبر 1993. أنظر: سعد لهلالي، الشيخ خير الدين جهوده الاصلاحية في الجزائر، مذكرة غير مطبوعة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ وحضارات البحر الابيض المتوسط، جامعة منتوري، قسنطينة، 2006/2005، ص47.

[2] مازن صلاح المطبقاتي، المرجع السابق، ص176.

[3] نفسه، ص176.

[4] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج3، ص95.

[5] نفسه، ص95.

[6] نفسه، ص96.

ومما يلفت النظر أن الحرب التي أعلنها العلماء ضد الطرقية انما كانت موجهة للاستعمار الذي كان يؤيد الطرقية[1]، ضد حركة الاصلاح يشير الى ذلك آجرون "Ageron" "أصبحت كلمة المرابطين تدل على الجهل والتخلف وكذلك أصبحت تعني المؤيدين للاحتلال والادارة الفرنسية"[2]. وقد ساعدتهم حتى على اقامة مؤتمرات لتوحيدهم ضد العلماء ومنها مؤتمر الطرقيين والزوايا لشمال افريقيا سنة 1948"[3].

موقف جمعية العلماء المسلمين من الحرب العالمية الثانية :

في الاجتماع الإداري للجمعية في 23 سبتمبر 1938 طرح عبد الحميد بن باديس قضية برقية التأييد لفرنسا في الحرب العالمية الثانية وطلب من الأعضاء ابداء رأيهم بصراحة، فكان المصوتون بنعم 4 منهم الشيخ العقبي[4] و12 برفض وعدم ارسال البرقية، وبعد ذلك انتقلت القضية من الاجتماع الاداري العام الذي يحضره الجماهير وخطب الشيخ عبد الحميد قائلا "اقول بصراحة واجتماعنا هذا لا يخلو من جواسيس رسميين أو غير رسميين اني لن امضي البرقية ولن أرسلها ولو قطعوا رأسي ..."[5].

---

[1] مازن صلاح المطبقاتي، المرجع السابق، ص139.

[2] Ageron Charles Robert, Histoire de l'Algérie contemporaine 1830-1973 (que sais-je ?), Paris, Presse universitaire de France, 1974, p332.

[3] Les Archives d'autre mer, Aix- en Provence- France, boite n° 94 Congres des confrères religieuses d'Afrique du nord, préfecture d'Alger, services de liaisons nord-africaines, N204, s.l, s.n, Alger, le 24/03/1948, p4491.

[4] الشيخ العقبي: الطيب بن محمد العقبي (1880-1960) ولد بسيدي عقبة ولاية بسكرة، هاجر مع عائلته الى المدينة المنورة وعاد الى الجزائر سنة 1920 بعد قيام الثورة العربية، ساهم في تأسيس جمعية العلماء المسلمين، أصدر جريدة الاصلاح (1927-1948). أنظر: خير الدين شترة، المرجع السابق، ص230-231.

[5] نورالدين أبولحية، جمعية العلماء المسلمين والطرق الصوفية وتاريخ العلاقة بينهما، دار الأنوار للنشر والتوزيع، ط2، 2016، ص60.

مع قيام الحرب العالمية الثانية طالبت فرنسا كافة الهيئات الجزائرية بتأييد موقف فرنسا لكن الجمعية رفضت وكانت المواجهة مع السلطة الفرنسية مباشرة ولهذا أصدرت السلطات قرار بالغاء الجمعية في 1940"[1].

ثانيا/ تونس :

عندما وضعت الحرب العالمية الأولى 1918/1914 أوزارها جرى تجديد السعي الى بعث معالم النهضة التونسية وتطوير العمل السياسي في سبيل التحرير ولقد كان الاستعداد للعمل قويا في الطلبة الزيتونيين والفكرة الاصلاحية مخمرة فيهم يحركها ويغذيها اساتذة الزيتونة أمثال محمد الصادق النيفر[2] والشيخ محمد مناشو[3] ويساندهم الشباب المتطلع للتغيير من أبناء الزيتونة برز منهم توفيق المدني[4] ومحي الدين القليبي[5] وزين العابدين السنوسي[6] والطاهر الحداد[7] وغيرهم[1].

---

[1] نورالدين أبولحية، المرجع السابق، ص61.

[2] الشيخ محمد الصادق النيفر (1937-1882) بن الطاهر النيفر فقيه وأديب وعارف بالمخطوطات ولد بتونس، حفظ القرآن الكريم، ودرس بجامع الزيتونة، كان من أعضاء اللجنة التنفيذية بالحزب الدستوري، تولى القضاء.

[3] محمد مناشو (1933-1882) أحد مدرسي الزيتونة بتونس. أنظر: محمد الفاضل بن عاشور، المرجع السابق.

[4] أحمد توفيق المدني هو احمد توفيق المدني بن محمد بن احمد بن محمد المدني القبي الغرناطي عالم ومؤرخ ووزير جزائري ولد بتونس 1899 وتوفي بالجزائر العاصمة 1983.

[5] محي الدين القليبي (1954-1899) من رموز الحركة الوطنية والنضال السياسي في المغرب العربي، خلف الثعالبي بعد رحيله الى المشرق العربي سنة 1923 في ادارة الحزب الدستوري الحر، اتخذ مواقف صارمة اتجاه المؤتمر الافخاريستي انتهى به المطاف في دمشق وتوفي بها. أنظر: اسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياسية والفكرية التونسية 1900-1939 خير الدين شترة، دار كرادة للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 2012، ص34.

[6] زين العابدين السنوسي (1966-1898) الرجل والكاتب والمناضل ساهم في الحياة الأدبية التونسية وإثرائها وأيضا السياسية من خلال الجرائد والصحف. أنظر: الصادق الزمرلي، المرجع السابق، ص341-344.

[7] الطاهر حداد (1935-1899) مؤلف ونقابي ومنظر تونسي. أنظر: الطاهر حداد، امرأتنا في الشريعة والمجتمع، تونس، الدار التونسية للنشر، 1985، ص22-23.

حيث عرفت الحركة الوطنية التونسية في العشرينيات عدة أحزاب سياسية منها الحزب الحر الدستوري التونسي الذي تأسس سنة 1920 وكان سياسيا اصلاحيا اجتماعيا ودينيا[2].

وبناء عليه فإننا نعتبر أن الحزب الدستوري الحر التونسي حزبا سلفيا اسلاميا ووحدويا عربيا اسلاميا داعيا ومجاهدا ومصرا على أن تبقى تونس مرتبطة بحضارتها وبأشقائها العرب والمسلمين وبناء دولة ترفع على راية الاسلام[3].

حيث ركز الحزب الدستوري الحر التونسي على الشعور الديني والانتماء الى مجتمع اسلامي وحافظ على توجهه الوطني المتصلب[4].

وقد قام الحزب الدستوري الحر التونسي سنة 1920 على مبادئ تطالب بنظام دستوري لتونس وتأليف حكومة وطنية مسؤولة أمام الشعب[5].

ان عبد العزيز الثعالبي بالاضافة الى كونه زعيم حركة سياسية كان من اركان الاصلاح الاجتماعي والاقتصادي والاصلاح الفكري والديني الذي قامت عليه حركة الاصلاح والحركة الوطنية في تونس[6]، حيث أخذت الحركة السياسية التونسية وجهتها نحو التنظيم تحت قيادة الثعالبي ولذلك سلطت عليه فرنسا المتابعة والمحاكمة بدعوى اصدار كتابه ""تونس الشهيدة" وتوزيعه في تونس رغم معارضة الحكومة آنذاك[7]، ولقد كان جل شيوخ وتلامذة الزيتونة دستوريين حتى أن سلطة الحماية

---

[1] عبد القادر خليفي، أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسيةوالثقافية في تونس والجزائر، 1899-1983، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، اشراف الدكتور عبد الكريم بوصفصاف، جامعة منتوري، قسنطينة، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، 2007/2006، ص75.

[2] مناصرية يوسف، الصراع الايديولوجي في الحركة الوطنية التونسية 1934-1937، دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، 2006، ص7.

[3] مناصرية يوسف، الصراع ...، مرجع نفسه، ص11.

[4] مناصرية يوسف، الصراع ...، مرجع نفسه، ص23.

[5] الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص55.

[6] نفسه، ص55.

[7] حميدي أبو بكر الصديق، قضايا المغرب العربي في اهتمامات الحركة الاصلاحية الجزائرية 1920-1954، دار الهدى، عين مليلة، د.ط، 2015، ص309.

اعتبرته معقلا للوطنية وكان له الأثر البليغ في صقل الشعور الوطني وكان شأنه مع الحزب الدستوري الحر التونسي شأن جامع الأزهر مع الحزب الوطني[1].

وتمثلت المساهمة السياسية للزيتونيين باعتبار ان الحزب الدستوري الحر التونسي ممثلا لهم في عدة مواقف وقضايا وطنية أبرزها:

- توجيه الثعالبي لعدة رسائل شارحا فيها أن فرنسا في تونس تمنع الكتابة والكلام وحتى التفكير والاجتماع وكانت هذه الرسائل موجهة الى كل من مؤتمر مناهضة الاستعمار في بروكسل والأمين العام للجنة مناهضة الاستعمار ببرلين[2].
- سفر الثعالبي للشرق 1923 بعد عدم التفاهم الذي حدث بين الباي محمد الحبيب[3]، ورجال الحركة الوطنية قرر الحزب الدستوري أن يسافر الثعالبي للشرق لتجنب الخلاف مع الباي الذي يمكن أن يتطور لغير صالح التونسيين وقضيتهم[4]، سافر الثعالبي للشرق سنة 1923 ولم يرجع الى تونس الا سنة 1937 وقد زار اثناء هذه المدة مصر، سوريا، العراق، الحجاز، الهند وغيرها من البلدان، وقام بدعاية قوية في الأوساط العربية والاسلامية لصالح القضية التونسية[5].
- تأسيس لجنة الخلافة سنة 1922 تكونت لجنة الخلافة سنة 1922 قبيل سقوط الخلافة العثمانية وقيام الجمهورية التركية العلمانية وكان من أهم مؤسسيها أحمد توفيق المدني، ومحي الدين القليبي، وعثمان الكعاك[6]، وآخرين، وترأسها المدني[1].

---

[1] مناصرية يوسف، دور النخبة الجزائرية في الحركة الوطنية التونسية بين الحربين العالميتين، دار هومة، الجزائر، 2013، ص113.

[2] حميدي أبو بكر الصديق، المرجع السابق، ص310.

[3] الباي محمد الحبيب (13 اوت 1958 – 13 فيفري 1929) هو الباي السادس عشر من البايات الحسينيين بتونس، حكم من عام 1922 الى وفاتة 1929، وفي عهده أصدر عدة اصلاحات بايعاز من المقيم العام الفرنسي لوسيان سان. أنظر: عمار الخليفي، المرجع السابق، ص12.

[4] علال الفاسي، الحركات الاستقلالية في النغرب العربي، المندوبية السامية لقدماء المقاومين وأعضاء جيش التحرير، ط7، الرباط، 2010، ص73.

[5] نفسه، ص73.

[6] عثمان الكعاك (1903-1978) ولد بتونس، مؤرخ أكاديمي ألف عدة كتب منها تاريخ الجزائر. أنظر: السعدي أبوزيان، عثمان الكعاك الرجل والفكر، سلسلة ذاكرة وابداع، المركز الوطني للاتصال الثقافي، تونس، 2009.

- ولما ألغيت الخلافة في شهر مارس 1924 من طرف مصطفى كمال أتاتورك[2] ونفي الخليفة عبد المجيد الثاني[3] الى سويسرا حيث سجلت اللجنة موقفها وقامت بارسال برقيات الاحتجاج الى الكماليين ممثلي الدولة التركية[4].
- تأسيس جامعة عموم العمالة التونسية 1924 عرفت البلاد التونسية الحركة النقابية بشكل أو بآخر منذ بداية القرن العشرين وتأسست أول نقابة قومية تونسية في صيف 1924 بقيادة محمد علي الحامي[5]،[6]، وانخرط فيها أحمد توفيق المدني والطاهر حداد وغيرهم، وكان المدني عضوا بارزا في الجلسة التي انعقدت في 1 نوفمبر 1924 حيث تولى الكتابة والترجمة لهذا الاجتماع التاريخي، كما حضر أيضا في جلسة 22 فيفري 1925[7].

---

[1] عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص79.

[2] مصطفى كمال أتاتورك (1881-1938) كان ضابطا في الجيش التركي وهو مؤسس تركيا الحديثة وأول رئيس للجمهورية التركية وهو من ألغى الخلافة الاسلامية في تركيا. أنظر: ماهر حسن، المصري اليوم، عدد 1976، 10 نوفمبر 2009.

[3] السلطان عبد المجيد الثاني بن عبد العزيز الاول (1868-1944) كان الخليفة الأخير تولى الخلافة من 19 نوفمبر 1922 الى غاية 3 مارس 1924 حيث تم خلعه وطرده مع بقية عائليته من تركيا. أنظر: محمود شاكر، الخلفاء العثمانيون، دار المكتب الاسلامي.

[4] نفسه، ص79.

[5] محمد علي الحامي (1893-1928) درس العربية بقابس وتونس وارتقى في مراحل حياته من عامل بسيط إلى أن وصل إلى قيادة العمل النقابي بتونس، فحبسته فرنسا ونفته واستقر به المقام في الحجاز إلى أن توفي بحادث مرورو في جدة في 10 ماي 1928. أنظر: مناصرية يوسف، الحزب ...، المرجع السابق، ص174-175.

[6] علال الفاسي، المرجع السابق، ص75.

[7] أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج1، في تونس 1905-1925، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988، ص285-292.

- وفي سنة 1925 نصبت الحماية في تونس تمثالا للكاردينال دي لا فيجري[1] آخذا الصليب بيده اليمنى والانجيل بيده اليسرى فهاج التونسيون من أجل ذلك ونظم زعماء الدستور مظاهرة كبرى أدت الى تضارب قوي بين المتظاهرين وبين الفرنسيين في باب بحر وأبعد فيها بعض علماء الزيتونة، ونفي بجهات مختلفة كل من الشيخ العربي القروي من علماء الزيتونة[2].
- أيضا تضامن التونسيون مع ثورة الريف بالمغرب حيث نظموا عدة روايات وحفلات وجمعوا مبلغا من المال لاسعاف جرحى الريف فاستولت الادارة الفرنسية على هذه الأموال وقد أبعد على إثرها توفيق المدني إلى الجزائر[3].
- الاحتفالات الخمسينية بتونس سنة 1931 وعليه فإن تونس قد أخذت العبرة من الجزائر فجندت الصحافة الرأي العام ضد هذ الحدث واعتربته في صالح المعمرين بالوطن التونسي.[4]
- المؤتمر الافخاريستي 1930 قررت الكنيسة بدعم من سلطة الحماية تنظيم مؤتمر كاثوليكي بتونس لمسح الهوية الثقافية التونسية وقد نظم هذا المؤتمر بين 7 و13 ماي 1930 بإشراف من السلطة الاستعمارية[5]، وقد فشل هذا المؤتمر في تحقيق أهدافه ويرجع الفضل الى الحملات الصحفية التي قادها المثقفون التونسيون وفي طليعتهم أبناء الزيتونة، وقد التقى أبناء الزيتونة مع المؤتمرين وأفهموهم أنه لا جدوى من محاربة الذاتية التونسية والقضاء على مقومات البلاد[6].
- الزيتونة وقضية التجنيس وفي سنة 1932 التف الطلبة الزيتونيين وعلمائهم بقيادة الحزب الدستوري الحر التونسي القديم في مناهضة قانون التجنيس الذي أصدرته الحكومة الفرنسية قصد فرنسة التونسيين وساهموا مساهمة قوية في دحض وتعطيل هذا المشروع[7].

---

[1] الكاردينال دي لا فيجري (1825-1892) أستاذ تاريخ الكنيسة، كان رئيسا على جميع أساقفة افريقيا وقرطاج سنة 1890، وكانت له مساعي كبرى في حركة الاحتلال والتبشير بالمغرب العربي، أنظر: مناصرية يوسف الحزب ...، المرجع السابق، ص28.

[2] علال الفاسي، المرجع السابق، ص74.

[3] نفسه، ص74.

[4] حميدي أبو بكر الصديق، المرجع السابق، ص311.

[5] لعرج خولة، موجز تاريخ الحركة الوطنية التونسية 1881-1964، المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، تونس، 2008، ص78.

[6] الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص222.

[7] نفسه، ص222.

- موقف بعض الطرق الصوفية من النضال الوطني التونسي بين 1920 الى غاية 1933 فيما يتعلق بمواقف الطرق الصوفية من التأسيس الفعلي للحزب الدستوري التونسي سنة 1920 كان من بينها موقف شيخ الطريقة التيجانية ببوعرادة الذي ورد قوله "أثناء التحركات الدستورية المطالبة بإخراج فرنسا وحكومة مسؤولة وبرلمان ... حيث كان مع تلك الحركة باي تونس الذي مات والقاضي الصادق النيفر (1937) كان والده يصرح بمساعدة فرنسا حتى النهاية ويوصي أتباعه بذلك وأن لا يشاركوا الدستوريين، الأمر الذي جعل هؤلاء يشنون عليه حربا ..."[1]، ويتضح من هذا الكلام تواطئه مع المستعمر الفرنسي وتعريضه بالباي محمد الناصر[2] (ت 1922) المتعاطف مع الوطنيين والقاضي الصادق النيفر[3]، وأصبح هذا الموقف أكثر وضوحا منذ مطلع سنة 1930، ذلك أن مواقف بعض الطرق الصوفية أصبحت تكشف بوضوح الخطر الذي يمثله الوطنيون عليهم وعلى الاستعمار[4].

- الصراع بين الجيل القديم والجيل الجديد في الحزب الدستوري اذا كان عبد العزيز الثعالبي قد بنى الحزب الدستوري التونسي ايديولوجيا على أسس فكرية تمتد جذورها الى الفكر السلفي الاصلاحي كما نعرفه لدى جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده وربط نضال الحزب الدستور الحر التونسي بالحركة الوطنية في المشرق والمغرب العربي، فإن الشبان الذي انشقوا على الحزب الدستوري وأسسوا في 3 مارس 1934 الحزب الدستوري الجديد قد درسوا في اوربا وتربوا على الفكر الغربي وعامل الخلاف في الثقافة ادى الى اختلاف في المنهج واسلوب العمل بين جيلين[5]، وبعد ضعف ضعف الحزب الدستوري ونفي الثعالبي اتخذوا من فصل أحد زملائهم من الحزب حجة للاستقالة وبدؤوا يتحركون لتوحيد موقفهم ودعوا الى مؤتمر في قصر هلال سنة 1934 انتخبوا من خلاله مكتبا سياسيا وغيروا اسم الحزب من الدستوري التونسي الى الحزب الدستوري الجديد وانتخبوا

---

[1] التليلي العجيلي، الطرق الصوفية والاستعمار الفرنسي بالبلاد التونسية 1881-1939، منشورات كلية الآداب، منوبة، تونس، 1993، ص227-228.

[2] الباي محمد الناصر بن محمد بن حسين الثاني، ولد بالمرسى سنة 1857، وتولى العرش سنة 1906، وفي عهده شهدت الحركة الوطنية تطورا، توفي في 10 جويلية 1922. أنظر: حبيب حسن اللولب، المرجع السابق، ص22.

[3] التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص229.

[4] نفسه، ص229.

[5] الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص61.

محمود الماطري[1] رئيسا للحزب[2]، والحبيب بورقيبة[3] أمينا عاما، وقد بدأت المعارك الصحفية والمعارك الحزبية الجدلية على صفحات جريدة العمل لسان الحزب الدستوري القديم بين المنصف المنستيري[4] ومحي الدين القليبي في الحزب القديم والطاهر صفر[5] ومحمود الماطري في الحزب الجديد[6]، وبعد أن تم العفو عن جميع المعتقلين السياسيين والمبعدين سنة 1936 شمل هذا العفو عبد العزيز الثعالبي زعيم الحركة الوطنية ومؤسسها الذي حاول رأب الصدع وطاف أنحاء الجمهورية التونسية عاملا على ذلك الا أن الحزب الدستوري الجديد وأنصاره كانوا له بالمرصاد وتطور الصراع الى حد التظاهر والاشتباكات التي اسفرت عن قتلى وجرحى بين الطرفين[7]، واستمرت هذه الأحداث حتى سنة 1938[8].

[1] محمود الماطري (1879-1973) الطبيب والمناضل ورجل السياسة من مواليد تونس، درس الطب وأخذ الثقافة الفرنسية، تولى رئاسة الحزب الدستوري الجديد سنة 1934 صحبة الحبيب بورقيبة. أنظر: الصادق الزمرلي، المرجع السابق، ص87-95.

[2] الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص62.

[3] الحبيب بورقيبة ولد بتونس سنة 1903 وأتم دراسته في باريس وعمل في الصحافة والمحاماة، واصبح سكرتيرا للحزب الدستور الجديد وعضوا في لجنة تحرير المغرب العربي 1948، وانتخب رئيسا لتونس 1956 إلى أن عزل من الحكم في 7 نوفمبر 1987. أنظر: غيلان سمير طه التكريتي، مقال حول الحركة الوطنية التونسية في سنوات ما بين الحربين 1918-1939، مجلة آداب الفراهيدي، العدد 13، كانون الأول ديسمبر 2012، ص199.

[4] المنصف المنستيري (1901-1971) تلقى تكوينا زيتونيا، كان أحمد قيادي الحزي الدستوري الحر، نشط في ميدان الصحافة وكتب بجريدة الارادة في الثلاثينات وجريدة الاستقلال. أنظر: محمد الفاضل بن عاشور، الحركة الأدبية والفكرية بتونس، الدار التونسية للنشر، تونس، 1983، ص149.

[5] الطاهر صفر (1830-1942) درس بالصادقية ومعهد كارنو في كلية الحقوق باريس، عمل في المحاماة منذ منذ سنة 1928 وهو من مؤسسي الحزب الدستوري الجديد، ترأس جريدة العمل سنة 1934 وساهم في ادارة العديد من الصحف بالفرنسية.

[6] نفسه، ص62.

[7] الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص65.

[8] نفسه، ص65.

- موقف الحزب الدستوري القديم من الحرب العالمية الثانية لقد تصرفت الحركة الوطنية التونسية ازاء الحرب العالمية الثانية بحكمة وروية حيث اوعز السياسيون المحنكون من الحزب الدستوري القديم والجديد امثال محي الدين القليبي والماطري الى الباي بعدم الانجرار وراء الحماس الشعبي، وقد أعلن الباي محمد المنصف حياده وكان رجال الحركة الوطنية التونسية بخبرتهم دفعوا بالباي الى انتزاع عدة تدابير لصالح التونسيين استغلال لموقف الحياد اتجاه الحرب من ذلك الافراج عن المعتقلين السياسيين[1].

ثالثا: أوجه التشابه والاختلاف في كلا البلدين

1.اوجه التشابه

لقد تشابهت الحركة الاصلاحية في الجزائر وتونس خلال الفترة 1920 الى غاية بداية الحرب العالمية الثانية في عدة مواقف وقضايا أبرزها:

- تأثير شخصيات قومية وفكرية من المشرق العربي كجمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده في ظهورها منها زيارة الشيخ محمد عبده للجزائر سنة 1903[2]، وكذلك تونس من 2 الى 22 سبتمبر وأعطى نفسا جديدا للشباب التونسي وزادهم حماسا للعمل الاصلاحي[3].

- تشابهت في محاربتها لقانون التجنيس الفرنسي الذي وقف ضده ابن باديس في الجزائر لأنه يعني التخلي عن نظام الاحوال الشخصية الاسلامية[4]، كذلك وقوف الزيتونيين سنة 1932 بقيادة الحزب الدستوري الحر التونسي ضد قانون التجنيس وعطلوا المشروع[5].

- موقف علماء الجزائر من الحركات الصوفية الطرقية حيث أن العلماء حاربوا في هاته الحركات الجمود والخرافات والتعايش مع الادارة الاستعمارية[6]، ونفس الشيء في تونس فالطرقيون وقفوا مع المستعمر ضد الوطنيين الدستوريين من مطلع 1930، حيث أصبح موقف الطرقيين يكشف بوضوح الخطر الذي يمثله الوطنيون عليهم وعلى الاستعمار[7].

---

[1] محمد الهادي الشريف، تاريخ تونس، ط3، دار سراس للنشر، تونس، 1993، ص27.

[2] أحمد صاري، المرجع السابق، ص16.

[3] مناصرية يوسف، المرجع السابق، ص28.

[4] عبد القادر حميد، المرجع السابق، ص51.

[5] الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص222.

[6] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص95.

[7] التليلي العجيلي، المرجع السابق، ص229.

- موقف ورد فعل العلماء الجزائريين من الاحتفلات المئوية الفرنسية باحتلال الجزائر وأطلقت على هاته الاحتفالات مهازل سنة 1930 وأكدت أنهم أي الفرنسيين لن يحتفلوا بثاني عيدهم[1]، نفس الموقف اتخذه التونسيون فجندت الصحافة الرأي العام ضد هذا الحدث واعتبرته في صالح المعمرين بالوطن التونسي[2].

- موقف الحركة الإصلاحية في الجزائر وتونس من التجنيد الإجباري في الحرب العالمية الثانية الذي كان معارضا لتجنيد أبناء المغرب العربي في هذه الحرب .

2.اوجه الاختلاف

وهي ليست كثيرة وانما كانت في بعض الشكليات بسبب وضعية كل بلد وظروفه وأبرزها:

- أن العلماء المسلمين في الجزائر كان لهم كيان مستقل يمثلهم ويمثل توجههم الايديولوجي متمثلا في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والتي تعمل على توحيد جهود علماء الجزائر وطلبتهم ضمن برنامج مشترك[3].

أما علماء الزيتونة وطلبتهم فقد انضموا في أغلبهم الى الحزب الدستوري الحر التونسي الذي كان يضم الوطنيين والاصلاحيين وغيرهم، حيث قام على مبادئ تطالب بنظام دستوري لتونس وتأليف حكومة وطنية مسؤولة أمام الشعب[4].

- الموقف من الحرب العالمية الثانية كان مختلفا بين البلدين حيث نجد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين رفضت مساندة فرنسا في الحرب وكانت المواجهة مباشرة مع السلطة الفرنسية، ولهذا اصدرت السلطات الاستعمارية قرارا بإلغاء الجمعية سنة 1940[5]. أما الحركة الوطنية الدستورية في تونس تصرفت بحكمة وروية واتخذت موقف الحياد لظروف خاصة مع الباي محمد المنصف واستغلت الموقف لصالحها منها الافراج عن المعتقلين السياسيين[6].

---

[1] أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج2، ص405.

[2] حميدي أبو بكر الصديق، المرجع السابق، ص311.

[3] علاء عباس نعمة الصافي، المرجع السابق، ص120.

[4] الطاهر عبد الله، المرجع السابق، ص55.

[5] نورالدين أبولحية، المرجع السابق، ص61.

[6] محمد الهادي الشريف، المرجع السابق، ص127.

خلاصة واستنتاج :

ان مساهمة الحركات الاصلاحية المغاربية في العمل السياسي في الجزائر وتونس لهي بحق مساهمة فعالة وأتت بنتائج ايجابية وساهمت بشكل قوي في دفع عجلة الاستقلال للأوطان المغاربية حيث تمثلت في نشر الوعي الفكري والديني والتشبث بالمرجعية والهوية الوطنية كخطوة أولى وبعدها دخلت في المعترك السياسي من جميع النواحي كالكتابة في الصحف والجرائد والمشاركة في المؤتمرات والتظاهرات العامة المنددة بالمستعمر والمطالبة بحق تقرير المصير والتعجيل بالاستقلال، كما ساهمت في اعداد جيل تقلد المسؤوليات السياسية والثورية، وكانت تعمل على الوقوف في وجه كل المشاريع الاستعمارية الهدامة وكانت حصنا ودرعا للأمة العربية الاسلامية برجالاتها الأفذاذ، حيث كانت خلال الفترة 1920 الى بداية الحرب العالمية الثانية سيدة الموقف في الساحة السياسية سواء في الجزائر أو تونس.